المفاجأة السارَّة

كان فادي فرحاً برؤية جميع رفاقه بعد انقضاء العطلة الطويلة. وكان سعيداً بالعودة إلى المدرسة، خاصة بعد أن تحققت أمنيته!

فقد مر عليه وقت في العام الماضي، اعتقد فيه أن جسمه لن يزداد طولاً أبداً. فكل رفاقه يلبسون بناطيل تقصر يوماً بعد يوم، بينما كان هو يشعر أن بنطاله يزداد طولاً!!

قال في نفسه: لابد أن أمي تستعمل في غسيل بنطالي منظفاً يؤدّي إلى ارتخاء القماش، أو أن الصابون الذي أستعمله أنا في الحمّام يؤدي إلى انكماش طول الإنسان.

وعلى أي حال، واتقاءً لأي محذور، استبدل فادي بالصابون الذي يستعمله نوعاً آخر، مما يستعمله أطول رفاق صفه.. لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً. فقرر أن يملأ مغطس الحمام برغوة الصابون الذي كتب على علبته ((الصابون السحري)) وينقع جسمه فيه مدة ساعة، فيتحقق له مايتمناه.

كانت تلك اطول ساعة مرّت في حياته كلّها!! وقد الّف خلالها أغنية لتمضية الوقت:

أرضى ويرضى خاطري ... لوكنتُ فأراً أسمرا
أو حبّةً.. أو نملة ... أو أي شيءٍ أصغرا
لكنني.. لاأرتضي ... بأن أكون الأقصرا
بين الرفاق.. مطلقاً !! ... لا.. لن أكون الأقصرا!!

ولما خرج من المغطس قاس طوله _ للمرة العاشرة بعد الألف _ فوجده على حاله!!.

كل ماهنالك، هو أن يديه وقدميه انتفخت وتجعّد جلدها حتى بدت كأطراف رجل العجوز !! فما كان منه إلا أن فتح مصرف المغطس، ليبتلع الماء والرغوة ((السحرية)) ومعها كل آماله.!!

بعد هذه الحادثة راح فادي يأكل المآكل الطويلة...

فمثلاً، لم يكن ليأكل خيارة قصيرة أو جزرة قصيرة مهما كان الأمر.

وكان يغتّي وهو يعيد الخضار القصيرة غير المرغوب فيها إلى الثلاجة:

((إن لم تكوني طويلة.. لن آكلك ياهزيلة..))

حتى (الكفتا) المستديرة التي كان يحبّها، فقد حذفها من قائمة طعامه المفضّل، ووضع مكانها (النقانق) الطويلة الممشوقة!..

وعندما كان يركب دراجته صار يختار الطريق الأطول. كان يقوم بكل شيء بأطول.. أطول الطرق.

لكن، ومع ذلك بقيتْ صلاته قصيرة. واقترح والده أن يجعلها _ كما يفعل بكل الأشياء الأخرى _ طويلة.

وقام فادي بذلك فعلاً!!..

صار يقضي وقتاً أكثر في الصلاة، ويخاطب الله بعدها مطوّلاً...

طلب من الله أن ييسّر له كل مافيه الخير، وخاصة أن يجعله أطول.. أطول بكثير.

ورغم أن الجميع كانوا قد ضحكوا من اختياره الأشياء الطويلة، فإنهم مدحوا فكرة إطالة صلاته.

ولكن فادي لم يُطل صلاته ليحصل على المديح. فقد وجد في ذلك الكثير من المتعة، بالإضافة إلى أنه صار لديه وقت أطول ليحدّث ربّه عن كل شيء. وكان فادي يؤمن بأن الله يفهمه أكثر مما يفهمه الجميع.

لماذا؟... ((لأن الله هو خالقي!))

وعند حلول نهاية السنة الدراسية، كان فادي قد ترك التفكير بمسألة طوله، ولم يعد يقيسه أبداً، بل راح يتمتّع بعطلته الصيفية: سباحة وركوب دراجة وغير ذلك من أنشطة الصيف الرياضية الرائعة.

وأخيراً، وفي نهاية الصيف، الذي كان فادي يرتدي خلاله بنطالاً قصيراً، كانت المفاجأة السارة.. عندما حاول ارتداء بنطال المدرسة الطويل!!

يا الله ماالذي حدث؟ لماذا أجد صعوبة بالغة في إدخال ساقيّ فيه؟..

هل انكمش قماشه.. فضاق..

بل وأصبح قصيراً.. قصيراً جداً.. جداً !..

لا!! إنه أنا!! فأخيراً.. **صرتُ أطول!!...**

سُكَّر و بهار

القطط حيوانات عجيبة..

فهي تُحبّك، ولكنها لاتُظهر لك محبّتها كما تفعل الكلاب مثلاً. وهي أنانيّة جداً، لاتفكر إلا في نفسها وراحتها.

والقطة فلفلة مثل سائر القطط..

أين يمكن أن تجدها عندما يكون الطقس حاراً؟..

تراها مستلقية فوق الأرض الرخامية الباردة في ظل دالية العنب، وقد مدّت ذراعيها إلى الأمام، وكأنها قطّة محشوة..

أما في الشتاء فتجلس _ كما تفعل القطط عندما يكون الجو بارداً _ مكوّرة فوق ماسحة الأرجل في المدخل أمام الباب.

وقد حدث في شتاء العام الماضي، وبعد بضعة أيام من التحاق فلفلة ببيت أسرة الهاشم، أن الخالة سارة جاءت لزيارتهم مساءً، ولم تكن قد تعرّفت على القطة بعد. وعندما بدأت تنظّيف حذاءها على الماسحة كما يفعل الجميع قبل

دخول المنزل، تحركت الماسحة تحت أقدامها!! فأصابها ذعر شديد وراحت تصرخ بأعلى صوتها، فيما أخذت فلفلة أيضاً بالصراخ من الخوف والألم معاً، مما جعل الجميع يأتون راكضين ظنّاً أن النار اندلعت في البيت.

وعندما اعتادت عينا الخالة سارة على الظلام، وصار بإمكانها تمييز الأشياء حولها بوضوح ورأت القطّة، ازداد صراخها.. فهناك شيء واحد تخافه أكثر مما تخاف الأشباح أو الظلال أو الظلام، هذا الشيء هو.. القطط.. القطط!!

ولكن، وبعد مرور الوقت، شعرتْ كل من الخالة سارة وفلفلة بسخافة صراخهما الواحدة في وجه الأخرى أو الخوف بعضهما من بعض، وأصبحتا صديقتين. ولكن الأولاد لم ينسوا هذا الحادث المضحك أبداً، خاصة وأن خالتهم التي تحب

النكتة كأبيها، ساعدتهم في كتابة قصيدة عنه.

حدث هذا منذ وقت طويل...

أما الآن، فإن فادي وسنا يشعران بالقلق، لأنهما بحثا عن فلفلة فلم يجداها في مكانها المعتاد فوق الماسحة ولافي أي مكان آخر، فأخذا يناديانها ويردّدان اسمها بصوت عال دون جدوى.

قالت لهما أمهما باسمة أن لايقلقا، فربما ذهبت فلفلة لمكان ما، وستعود في أي لحظة، فالقطط نادراً ماتضيع، وهي تجد دائما طريق العودة إلى حيث تقيم.

رنّ جرس الهاتف.. إنها ريمه صديقة سنا التي قالت لها: ((تعالي ياسنا فعنديّ "إبداع" رائع أود أن أطلعك عليه!!))

فقد كان والد ريمه وعد بإهدائها بيتاً للعبتها إذا حفظت الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وبدأ فعلا، بالعمل فيه يوم بدأت هي حفظ الجزء. وكثيراً ماكانت سنا تشاهد والد ريمه وهو يعمل في تركيب بيت اللعبة الجميل خلال زياراتها لصديقتها. لاشك أن ريمه أتمت اليوم حفظ الصفحات العشرين كلها.. وهي تشعر الآن بكثير من الفخر!!

أسرعتْ سنا في كتابة واجباتها المدرسية، وتأكدت من عدم وجود أخطاء فيها. وبعد أن تصفحتها أمها، سمحت لها بالذهاب.

لم يكن بيت ريمه يبعد أكثر من شارعين، اجتازتهما سنا بخطىً سريعة، يتجاذبها شعوران: شعور بالسرور لأنها تعرف أنها ستستمتع باللعب مع ريمه ببيت اللعبة الجديد، وشعور بالحزن لأن فلفلة لم تكن معها. فقد كانت قطتها تسرُّ كثيراً بزيارة بيت ريمه، حيث يقدمون لها كل مرة كمية من الحليب.

عندما وصلت سنا قالت لها والدة ريما: ((ادخلي ياسنا. لدينا "إبداع" نريد أن نطلعك عليه.))

أسرعت سنا نحو غرفة الألعاب. وهناك، في زاوية الغرفة طالعها أجمل بيت لعبة رأته في حياتها. كان مصنوعاً من الخشب الملون، بنوافذ حقيقية وستائر بيضاء مزركشة خاطتها والدة ريمه.

كان سطح البيت الصغير يشبه القرميد، وغرفه مفروشة بقطع مصغّرة من الأثاث.

وفي المطبخ الصغير وُضع موقد صغير وثلاجة صغيرة ومائدة وكرسي، صنعها كلّها هاني أخو ريمه.

بدا البيت وكأنه حقيقي، حتى أن بعض النباتات كانت تحيط مدخله، كما كانت تزيّن بابه حلقة نحاسية صغيرة، وفيه ثقب مفتاح صغير جداً.. جداً.

دخل والد ريمه غرفة الألعاب وسأل سنا: ((هل أعجبك هذا البيت؟..)) فأجابته وهي تشعر بالسعادة من أجل ريمه: ((آه.. نعم. لقد أعجبني كثيراً. إنه إبداع ياعمّاه!!..))

قالت والدة ريمه وهي تبتسم: ((ولكن ليس هذا هو الإبداع الذي أردنا أن نطلعك عليه.))

وفي تلك اللحظة بالذات، دخلت ريمه، وهي تحتضن بين ذراعيها، بكثير من الزهو، سرير لعبة صغير، مُدّ فوقه غطاءٌ من الحرير الأزرق.

قالت سنا: لاشك في أنّك أنت التي صنعت غطاء السرير ياخالة، وأنت الذي صنعت السرير ياهاني. إنهما رائعان!!.))

كانت ريمه تبتسم وهي تضع السرير الصغير بعناية فائقة على الأرض. ومالأن أخذت تسحب جانباً وببطء شديد غطاءه الحريري، حتى تكشف لسنا منظر قطتين صغيرتين حديثتي الولادة. كانتا في تكورهما وتلاصقهما أجمل مارأته عيناها!

كانت القطتان الصغيرتان ترتعشان بنعومة، وتصدران مواءً خفيفاً لايكاد يُسمع.

التقطتْ سنا أنفاسها المتسارعة وصاحتْ، وهي تجلس على الأرض إلى جانب السرير الصغير: ((سبحان الله!!.. ما أبدع خلقك يا إلهي!! هذا أجمل ما رأيت في حياتي!!.))

وأحست سنا بشيء ناعم دافئ يتمسح برجلها. التفتت وقالت: ((فلفلة!!.. هل هما ولداك؟..))

وفهمت سنا أن فلفلة تقول ((نعم)) بطريقتها هي، إذ راحت تموء لهما وتلعقهما بحنان بالغ. قالت لها سنا: ((آه يافلفلة.. إنهما رائعتان!!..))

سألتها ريمه: ((ماذا ستسميهما؟..))

أجابت سنا: ((إنني لم أفكر في الأمر بعد، فوجودهما كان مفاجأة لي. ولكنني سأختار اسم واحدة منهما، ويختار فادي اسم الأخرى.. لاشك أنه لن يصدق هذا كله!!))

وقامت فلفلة، التي أصبحت الآن أماً حنوناً، بحمل القطّتين واحدة بعد الأخرى بفمها من جلد رقبتيهما، ووضعتهما في بيت اللعبة، حيث اختارت زاوية مريحة فيه، كان والد ريمه ترك فيها بعض نشارة الخشب، ونسيت والدتها قربها بعض قطع القماش الصغيرة. وبعد أن وضعت فلفلة قطتيها الصغيرتين هناك بلطف بالغ، جلست إلى جانبهما وراحت تتطلع إلى وجوه أصدقائها الذين كانوا

يسترقون النظر عبر نوافذ بيت اللعبة وكأنها تقول: هذا هو بيتنا الآن.. ونحن نحبّه كثيراً.

هاتان القطتان الصغيرتان اللتان سميتا سُكر و بهار، كانتا مصدر سعادة وفرح كبيرين لأطفال مدينة مرج الأمل.

السـارقة

عادات سيئة:

كانت لونا سارقة.. الجميع يعرفون ذلك.

فكلما فقدَ أحدٌ شيئاً وجدَه لدى لونا. وكلما كُسر شيءٌ كانت لونا هي الفاعلة. كان هذا مايحدث فعلاً.

لم يكن فادي يحبّ لونا، كما لم يكن أيٌّ من زملائها في الصف يحبّها. كانت لونا بنتاً بشعة، متّسخة الثياب شعثاء الشعر. وكانت لاتبدي اهتماماً بأي شيء، مما جعل جميع من في المدرسة يتحاشى الاقتراب منها.

وكثيراً ماكان فادي يلحظ لونا أثناء الفرصة تأكل جزءاً من شطيرتها، وتلقي بالجزء المتبقي منها في سلة النفايات، ثم تتجه نحو قاعة الدرس. وبعد ذلك - أي بعد انتهاء الفرصة والعودة إلى القاعة - ينتظر الجميع خبر فقدان شيء، أو وجود أشياء في غير أمكنتها.

وكانت لونا ماكرة. فهي غالباً لم تكن تأخذ الأشياء لنفسها، بل تقوم بكل بساطة بنقل قلم رصاص مثلاً من علبة أقلام في الصف الأمامي إلى علبة أخرى في الصف الخلفي. وعندما يصرخ الجميع قائلين: ((لاشك أنها لونا التي أخذت القلم المفقود!))، تراها تجيب بهدوء: ((لا، لم أفعل ذلك. فتشوا أغراضي.)) وبالطبع، فإنهم بعد التفتيش لايجدون شيئاً، وفجأة يصيح أحد الطلاب فيقول: ((انظروا.. إن القلم لدى أنور.)) فينظر الجميع نظرة لوم إلى أنور المسكين. وهكذا تجري الأمور دائماً.

كانت تعليمات المدرسة تقضي بعدم دخول أحد إلى قاعات الدرس في أثناء الفرصة، مهما كان السبب. وكانت القاعات تُقفل. ولكن لونا كان لها طُرُقها الخاصة.

كانت هناك حصص للتربية الرياضية، وأخرى للفنون، وغيرها للدراسات الإسلامية تقام أحياناً في المسجد. وكانت لونا تجد دائماً عذراً لتكون في القاعة وحدها. ولم تكن بحاجة إلى أكثر من نصف دقيقية.. فثلاثون ثانية تكفي لتقوم بفعلتها المؤذية.

بذل المعلمون والمعلمات جهدهم لمساعدة لونا على ترك عاداتها السيئة.

وقام المدير باستدعاء ذويها عدة مرات. ولكن الجميع فشلوا في حلّ مشكلتها.

ذات يوم، اتصلتْ إحدى المعلمات هاتفياً بوالدي لونا تسألهما عن مصدر المال الذي كان بحوذتها، والذي حاولتْ أن تشتري به "شوكلاته" لجميع طلاب وطالبات صفها. وقد لاحظت المعلمة الألم والخجل اللذين كان والد لونا يشعر بهما عندما قال لها إنها أخذتْ المبلغ من جيبه صباح ذلك اليوم بدون علمه. كما لاحظتْ أنه لم يستطع أن يستعمل كلمة ((السرقة)). وفي اليوم التالي تغيبت لونا عن المدرسة.

وبمناسبة عيد المعلّم، قدمت لونا إلى ثلاث من معلماتها ثلاث زجاجات عطر مفتوحة ونصف فارغة، ثم تبين أن لونا كانت قد سرقتها من بين الزجاجات التي تستعملها أمها.

وفي اليوم التالي تغيّبت لونا عن المدرسة مرة أخرى.

كانت الآنسة ربى هي المعلمة الوحيدة التي يبدو أن لونا تحبها، إذ إنها لم تكن لتؤنبها بقسوة، كما كانت تعمد إلى تشجيعها بكلمة طيبة كلما لاحظت لديها بعض التحسن.

الجميع يعرفون أن لونا كانت تكذب في قولها أنها لاتترك الصلاة أبداً، ورغم ذلك كانت الآنسة ربى تلصق لها نجمة على دفترها.

في أحد الأيام، وبعد أن تجاوز كذب لونا وسرقاتها كل الحدود، بحث مدير المدرسة الموضوع مع معلماتها، ومن ثم كان له حديث خاص مع الآنسة ربى حوله.

قال لها: ((لقد اخترتك لمهمة شاقة لأنني واثق من أنك المعلمة الوحيدة التي يمكنها أن تقوم بها. فأنت، يا آنسة ربى، لك طريقة خاصة مع الأطفال، ولديك الصبر والرقة اللازمان لمساعدة لونا.))

وختم المدير حديثه طالباً من الآنسة ربى أن تولي موضوع لونا اهتماماً خاصاً، وأن تحاول حل مشكلتها، مضيفاً: ((افعلي كل ماترينه مناسباً في هذا السبيل.))

الخطة:

بعد بضعة أيام، وعندما كانت لونا غائبة عن المدرسة (إثر إحدى المشاكل) تحدّثت الآنسة ربى إلى الطلاب فقالت:

((اسمعوا. تعلمون أن من واجبنا مساعدة لونا. فهي تبدو فتاة سيئة، ولكن يجب أن نتذكر أنه لا أحد يولد سيئاً. فالناس تتكون شخصياتهم متأثرة بظروف الحياة حولهم.

لذا يجب علينا أن نكتشف السبب الذي يدعو لونا إلى سوء التصرف، لنقوم بمساعدتها.

كما يجب أن نتوقف لننظر بعد ذلك إلى أنفسنا لنرى مدى صلاحنا. هل نحن فعلاً صالحون كما نبدو؟ إننا بهذه الطريقة نتمكن من مساعدة لونا ومساعدة أنفسنا أيضاً. لديّ خطة في هذا السبيل، لكنها تتطلب عملنا معاً كفريق واحد.))

وشرحت الآنسة ربى خطتها، بينما كان الجميع يصغون باهتمام كبير.

رفع فادي يده وقال: ((هل علينا عندما نبدأ بتنفيذ الخطة، ألا نخبر أحد عن الموضوع؟)) أجابت الآنسة ربى: ((نعم. يجب عدم التحدث عن الموضوع إلى أحد أبداً، لأننا لانملك أن نخبر أحداً عن أسرار الآخرين، وسأقوم أنا بإعلام الإدارة وذويكم عندما أجد داعياً لذلك. يجب أن نتعلم قيمة حفظ السر، كما يجب أن لاتشك لونا في أن لدينا خطة ما بشأنها، بل يجب أن تعتقد أن كل ما سيحدث إنما يحدث بصورة طبيعية.))

وبدأت المرحلة الأولى من الخطة فوراً.

فقد حصل ثلاثة طلاب على إذن من ذويهم لزيارة لونا التي كانت مريضة في منزلها. وكان فادي واحداً منهم. التقوا بالآنسة ربى في المدرسة، واتجهوا معاً إلى بيت لونا.

كانت والدة لونا تقوم بتنظيف البيت عند وصولهم، ولم تكن قد أنهت ترتيبه بعد، إذ أن المكنسة كانت لاتزال في المدخل.

قالت لهم: ((إنني آسفة. فقد وصلتُ لتوّي من العمل.)) ونادت: ((لونا.. لونا.. إن أصدقاءك ومعلمتك هنا.)) أدخلتهم إلى غرفة الاستقبال وعادتْ وصاحتْ: ((لونا..أين أنتِ أيتها العفريتة. لقد قلتُ لكِ منذ ساعة أن تتهيئي لمجيء ضيوفك.)) ودخلت لونا محمرّة الوجنتين وهي ترتجف، وقالت بخجل: ((أهلاً.))

سألتها أمها: ((لماذا أنت محمرة الوجه؟.. هل كنت تعبثين بأدوات زينتي كالعادة؟..)) هزّت لونا رأسها نفياً، ولكن احمرار وجهها كان شديداً، كما كانت عيناها محمرّتين أيضاً.

عبست أمها ووضعت يدها على جبين لونا وقالت: ((يبدو أن حرارتك لازالت مرتفعة. لقد كنتِ أفضلَ هذا الصباح مما جعلني أعتقد أنك ستتحسنين تماماً بعد الظهر، هل ابتلعتِ حبّات الأسبرين كما طلبتُ منك؟..)).

أجابت لونا: ((نعم، كما أنني اغتسلت أيضاً.))

صاحت أمها: ((اغتسلت؟! ولكنني لم أشغّل السخّان. هل اغتسلتِ بالماء البارد يالونا؟..))

أجابت لونا متلعثمة: ((لم يكن شديد البرودة.))

قالت والدتها وهي تستدير مخاطبة الآنسة ربى: ((ياإلهي!! المعذرة يجب أن نفعل شيئاً مع هذه الطفلة.)) وعادت فنظرت إلى لونا غاضبة وصرخت: ((اذهبي إلى غرفتك، ولاتغادريها لمدة ساعتين، خذي حبتي أسبرين واستلقي في السرير. هل تريدين أن يعلم والدك بما فعلتِ؟..))

رنّ جرس الهاتف. تناولته الأم، وبدا أنها كانت تناقش أحداً بلهجة متوترة، ثم عادت.

شعر الأولاد بكثير من الحرج.

تحدثت الآنسة ربى بعض الوقت مع أم لونا، ثم استأذنتها بالانصراف. وغادر الجميع بيت لونا، وهم يشعرون بعدم الراحة.

وغابت لونا عن المدرسة في اليوم التالي أيضاً.

بعد أن تحاور الطلاب مع الآنسة ربى، بدأوا بتطبيق المرحلة الثانية من الخطة. فقام كلّ منهم بصنع بطاقة خاصة للونا أثناء درس الفنون.

الطالبات كتبن بطاقات تضمّنت كلمات رقيقة مثل ((لونا، إني أحبّك)) أو ((لونا.. لقد اشتقتُ إليك.)) أما بطاقات الطلاب، فقد جاء فيها عبارات مضحكة مثل ((دلّونا على لونا)) و((عودي لتضحك خدودي.))

وضع الجميع بطاقاتهم بعد ذلك في مغلّف كبير أرسلوه إلى منزلها مع سائق الباص. فكّر فادي طوال اليوم بالحوار الذي جرى في المدرسة حول مشكلة لونا.

قالت لهم الآنسة ربى، إن لونا تحتاج إلى من يظهر الإعجاب بها، كما أنها بحاجة إلى الصداقة والتشجيع، وإلى الحب والرعاية. فهي مثلاً رغم أنها تكره الاستحمام فقد اغتسلت ذلك اليوم في محاولة منها لإرضاء والدتها. ولكن مافعلته لم يرض والدتها لأنها كانت مريضة، والاغتسال بالماء البارد يضرها. لكن لونا لم تكن تعي ذلك.

مسكينة لونا. فهي تشعر أن كل ماتقوم به خطأ بخطأ!!.. لذا كانت المرحلة الثانية من الخطة تقضي بأن تشعر أن أصدقائها مهتمون بها.

كان فادي واثقاً من أن لونا ستعجب بالبطاقات التي أرسلها لها الطلاب، ولكنه أراد أن يقدّم لها شيئاً خاصاً، وقد تحدّث حول هذا مع الآنسة ربى.

قالت له الآنسة ربى: ((لستُ أدري ما إذا كان بإمكانهم الاحتفاظ بقطّة صغيرة في شقتهم. ولكنني سأتحدث إلى ذويها حول ذلك.))

عندما عادت لونا إلى المدرسة بعد شفائها، بدأ تطبيق المرحلة الثالثة من الخطة.

راحت مجموعة من الطلاب والطالبات تلعب مع لونا طوال النهار، وتتغير المجموعة في اليوم التالي بحيث كان هناك دائماً من يلعب معها. وقد حرص الجميع على أن لايتركوها وحيدة حزينة كما كانوا يفعلون سابقاً.

وبدأت أشياء رائعة تحدث.

تأتي المعلمة صباحاً، فتجد وردة على طاولتها. وعندما تسأل عمّن وضعها، يجيب الطلاب: ((لاشك أنها لونا.))

فتنظر لونا حولها بدهشة وتقول: ((ولكنني لم أفعل)) فيجيب الطلاب: ((ومن يفكر بوضع هذه الوردة غير فتاة لطيفة مثلك؟))

وعندما كان يُفتقد شيء ما، شيء أخذته لونا، فإن الطفل الذي رآها تأخذه عوضاً عن أن يشير إليها بإصبع الاتهام، نراه يقول: ((إنني أنا الذي أخذته خطأ. إنني آسف جداً، ولن يحدث ذلك مرة أخرى.))

فكانت لونا تنظر إليه باستغراب وتقول: ((لماذا قلت إنك أنت الذي أخذته، بينما أنت لم تفعل ذلك؟...)) فيجيبها الطفل: ((لأنني أودك، ولاأريد أن تقعي في أي مأزق.))

وهكذا.. فقد بدأت لونا بتلقي الرسالة: يبدو أن رفاقها ورفيقاتها يودّونها ويهتمون بها!

مَحَبَّة وصداقة:

لاحظ فادي التغير الذي طرأ على لونا، فقد غدا شعرها ممشّطاً ومُرتّباً، وثيابها نظيفة. قال لها: ((لونا، إنك تبدين ظريفة اليوم)) فابتسمت وقالت: ((لقد رجوت أمي أن تغسل ثيابي وتكويها خلال العطلة الأسبوعية)) وبدا أنها تود أن تضيف شيئاً آخر، ولكنها توقفت عن الحديث. نظر إليها فادي نظرة مشجّعة، فأضافت: ((مسكينة أمي، ليس لديها أي وقت من أجلي. فهي تعمل الآن طوال النهار، ولديها أخي الصغير المزعج. وقد أخبرتُها أنني سأعتني به بينما تعتني هي بثيابي، فوافقتْ على ذلك.))

أجابها فادي: ((هذا ممتاز!! إنك محظوظة لأن لك أخاً صغيراً.))

فأجابته: ((محظوظة؟.. إنني على العكس أشعر بأنني سيئة الحظ، فأبي يحبّه كثيراً ولايحبّني أبداً، وكان يتمنى لو كنتُ صبياً. عندما ولدتني أمي، ووجد أنني بنت غضب منها كثيراً، مما اضطرها، كما أخبرتني هي، إلى ترك البيت والعيش في بيت أهلها بعض الوقت بسببي. كما علمتُ منها أيضاً أن أبي لم يحملني أو يضمّني ولو مرة واحدة، حتى عندما كنت طفلة صغيرة.))

شعر فادي بالانزعاج، كما شعر بالأسف من أجل لونا. ولكن، هاهي تتحدث إليه للمرة الأولى كصديق حقيقي وتخبره عن أحاسيسها. وكان عليه أن يصغي إليها رغم أنه يشعر بالضيق. واسترسلت لونا قائلة: ((إن أبي يعنّفني دوماً. كما أنه وأمي يضرباننني أحياناً ويصرخان في وجهي، بينما هما لايضربان أخي أبداً ولايصرخان في وجهه.))

سألها فادي وقد هاله ماقالت: ((ولماذا يضربانك؟..)) فهو يعرف أن الأطفال يُضربون فقط عندما يقومون بعمل سيء جداً- وهو لايذكر أبداً أن أيّاً من والديه ضربه.

أجابت لونا: ((إنهما يضرباننني كلما تخاصما معاً.)) فقال لها: ((ولكن خصامهما ليس خطأك.)) فأجابت: ((بل هو كذلك. فكل مايحدث للأسرة من مساوئ هو بسببي أنا. فأنا مصدر السوء في الأسرة. أتفهم ذلك؟...))

لم يفهم فادي ذلك أبداً. فلديه أختان لا واحدة. ووالداهم يعاملانهم جميعاً على قدم المساواة، بل إن فادي يشعر ببعض الغيرة أحياناً من أخته سنا عندما يخصّها والده بنظرة حنان.

فكّر فادي في أن عليه أن يحدّث الآنسة ربى حول ماسمعه من لونا في أسرع وقت ممكن، إذ يجب أن تعرف الآنسة ربى المشاكل التي تعاني منها لونا. وهو لن يخبر أحداً غيرها، لأن جميع الطلاب وعدوا أن لايبوحوا إلى أحد عن مشاكل لونا.

بعد أن تحدّث فادي مع الآنسة ربى، طلبت من جميع الطلاب والطالبات استخدام رسم بياني قامت هي بتهيئته. وكان هذا الرسم يبدو على الشكل التالي:

البيت + الأصدقاء + المعلمات = أنا

جمعت الآنسة ربى الرسوم بعد انتهائها. وفي يوم كانت لونا غائبة فيه عن المدرسة، أطلعت الطلاب والطالبات عليها، وشرحت لهم كيف أن عدداً قليلاً من الوجوه التي رسموها كانت حزينة، ولكنها كانت جميعها سعيدة في آخر صورة. أما ما رسمته لونا فكان مختلفاً تماماً، إذ أن جميع الوجوه كانت غاضبة، باستثناء الوجه الأخير الذي كان حزيناً جداً، حتى أنها أضافت إليه دموعاً تسيل على الخدّين:

البيت + الأصدقاء + المعلمات = أنا

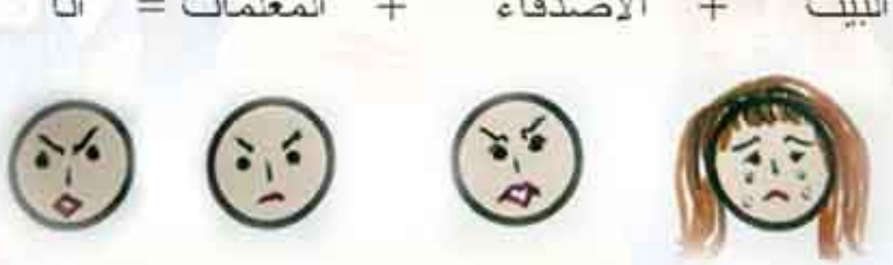

كيف يمكن للابتسامة أن تعلو وجه الطفل إذا كانت كل الوجوه التي حوله غاضبة؟..

وأوضحت الآنسة ربى للطلاب، أنه إذا أردنا أن يكون الوجه الأخير سعيداً، فيجب أن يكون اثنان من الوجوه الثلاثة الأخرى، على الأقل، مبتسمين.

تألم الأطفال كثيراً لما رأوه وسمعوه. فقد كانوا هم ((الأصدقاء)) ومع ذلك كانت وجوههم التي رسمتها لونا غاضبة، وأيقنوا كم كانت معاملتهم لها قاسية.

أما رسومهم، فليس من المستغرب أن تكون صورة وجه الـ ((أنا)) سعيدة. فأهلهم يحبونهم، وأسرتهم تعيش حياة سعيدة، ولهم أصدقاء لطفاء في المدرسة. ومعلمات ومعلمون يقومون دائما بتشجيعهم. كم هم محظوظون.. وكانت معاملتهم للونا ظالمة!..

شعروا بالخجل من أنفسهم وقرروا أن يستمروا في التعبير عن محبّتهم للونا.

وازدادت ثقة فادي الآن، وأكثر من أي وقت مضى، من أن وجود قطة أليفة لدى لونا سيساعدها كثيراً.

بعد بضعة أيام قالت الآنسة ربى لفادي: ((وافق أهل لونا على أن تحتفظ بقطة صغيرة)) وابتسمتْ، فقد رأت التعبير الذي ظهر على وجه فادي لدى سماعه هذا النبأ، وصاح يقول: ((عظيم!! لقد فكرتُ أنا وسنا أن نقدم لها القط الصغير ((بهار)) فهو مسلّي جداً.)) ثم أضاف، يغالبه الأسى: ((وسنشتاق إليه.))

قالت الآنسة ربى: ((إنه كرم منك ومن سنا أن تقدّما لصديقتكما شيئاً تحبّانه. إنني فخورة جداً بكما.))

فأجابها فادي: ((أرجو أن يكون عوناً لها في رسم البسمة على صورتها.))

ضحكت الآنسة ربى وقالت: ((إنني أتوقع أن يرسم ((بهار)) البسمة على جميع الوجوه. إنها وصفة طبية ممتازة في هذه الحال، أن يكون لديها من تحبه ويحبها. أهنئك يادكتور فادي على هذه الوصفة!!.))

غمر الفرح لونا عندما قدّم فادي قطّه ((بهار))، ورأحت تردد المرة تلو الأخرى وهي تمرّر يدها بحنان على القط الصغير: ((ياه!! شكراً لك يافادي.. شكراً.. شكراً.. إنني لاأصدق.. أصحيح أن بهار أصبح لي.. لي أنا؟...))

أجابها فادي، وهو يحاول أن لايظهر مقدار تعلّقه بذلك المخلوق المرح الصغير: ((نعم.. إنه لك- لك أنتِ..))

وكان فادي على حق في وصفته. فقد ساعد لونا وجودُ ((بهار)) لديها إلى أبعد حد.

وفي أثناء ذلك، كان جميع من في المدرسة يعاملون لونا بلطف. وبدأت هي بالتحسن فعلاً فكانت ثيابها تغسل في

نهاية كل أسبوع، كما صارت هي تغتسل بانتظام، وأخذت تعتني بواجباتها المدرسية وتحسّن خطّها. ولم تعد تخفي الأشياء أبداً.

وفي صباح أحد الأيام، رأى فادي والدي لونا يدخلان غرفة مدير المدرسة ويبقيان فيها وقتاً طويلاً.

وبعد ظهر ذلك اليوم حضر والدها لأخذها من المدرسة، وكانت أمها معه في السيارة وكانت تبدو محمرّة العينين وكأنها تبكي. وقد رأى فادي والد لونا يرفع عن كتفي ابنته محفظتها المدرسية الثقيلة ليحملها بنفسه، ثم رآه ينحني ويقبّل لونا!!...

كان واضحاً أن الجميع كانوا يطبّقون الخطة التي وضعتها الآنسة ربى فكل المعلمات والمعلمين كانوا يشجعون لونا في كل مناسبة. وعندما حل وقت انتقاء عريف الصف، احترزوا من الذي وقع عليه الاختيار!! لونا بالطبع.

وفي يوم الرياضة السنوي، فاز الفريق الأزرق الذي كانت لونا بين لاعبيه. وقال الجميع إن الفريق فاز بالمباراة النهائية لكرة السلّة لأن لونا كانت إحدى لاعباته الممتازات.

قال لها فادي: ((أترين؟.. إن وجودك في فريقنا كان من حسن حظنا.))

وكانت لونا تتألق سعادة، حتى أنها بدت جميلة وهي تبتسم وتقول: ((إن من حسن حظي أن يكون لي صديق مثلك يافادي.))

وبعد هذا.. فإن الشيء الوحيد الذي كانت لونا تسرقه من الآخرين هو البسمات والعلامات العالية والتقدير..

وأصبحت لونا واحدة من الطلاب الخمسة الأوائل في صفها، ونسي الجميع تلك التي كانت سارقة صغيرة في وقت مضى.